الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير - المدير المسؤول:
ابراهيم الامين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مديرا التحرير:
إيلي شلهوب،
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري
شربل كريّم

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت -
فردان - شارع دونان
- سنتر كونكورد -
الطابق السادس
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01/666314-15 -
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

«أوهام الكهف» تحاصر النخب المصرية... وقافلة تسير ف

محمد عبد الشفيع عيسى *

اليوم إذْ تستشرف مصر العربية ذكرى ثورة 25 يناير 2011، تطل أمامها تحديات كثيرة، لعل أظهرها في هذه الآونة تفاعلات النخب والجماهير إيجاباً وسلباً على جميع الصُّعُد.

مقابل الخبرات الإدراكية أو الشعورية المباشرة للجمهور المجتمعي العريض في مصر، والذي يخشى عودة الفوضى الأمنية ومن ثم «انقطاع الأرزاق»، تعيش النخبة المصرية المتشرذمة رهينة مجموعات متناثرة من الأوهام في كهوف عديدة، ولكل شرذمة منها كهفها الخاص وأوهامها الخاصة، حسب ذلك التعبير الشهير للفيلسوف الإنكليزي في مطلع عصر النهضة فرانسيس بيكون.

هناك «النخبة الثورية» التي تخشى عودة مرتقبة وقريبة – فيما يرون – لنظام مبارك؛ والنخبة «الليبرالوية» التي تخاف عودة «جمهورية الخوف» على النمط «الصدّامي» القديم، والنخبة «الإسلاموية» التي تخشى تفشّي الانحلال الأخلاقي بفعل الابتعاد عن صحيح الشرع والدين.

أما نخبة اليسار فحائرة داخل كهفها الخاص تعالج جراحها باستعادة أدبيات الثورة الاشتراكية، لا سيما على النمط «التروتسكي» -من جانب البعض الحالم بالثورة الدائمة.

وشريحة النخبة ذات التوجه الناصري لا تني تمارس القلق الثقافي والسياسي المقيم سعياً إلى «العدالة الاجتماعية». أما الشريحة «الفلولية» من البقايا المحسوبة على النظام السابق على ثورة يناير فترى الخير كل الخير في «الاستقرار» و«الاستمرار» ليس غير.

وفي مواجهة الجميع تعيش الشريحة الضيقة من شباب جماعة الإخوان المسلمين تحلم بيوم تعود فيه «الشرعية المفقودة»، ولو باستخدام القوة المجسدة. تلك الشرعية التي وجدت ذات يوم من منتصف عام 2012 إلى منتصف 2013، ولديها مثال من إنجاز «حزب العدالة والتنمية» التركي، اقتصادياً وسياسياً وثقافياً...!

فماذا يبقى من الجميع؟

يبقى «الوضع الحاكم» الذي يراهن على عامل الزمن، ويسابق الوقت. «يتحدى التحدي» حسب التعبير المستخدم، لتحقيق إنجاز اقتصادي – أمني يقطع بحده القاطع قول كل خطيب!

وبرغم تعقيدات الموقف المصري بشقيه النخبوي والجماهيري، وبرغم تشعّب التكوين الداخلي للطبقة السياسية، فإنه يمكن القول إن المعادلة الرئيسية الحاكمة لذلك الموقف ذات طرفين متقابلين: أولهما الجمهور المجتمعي العام، وثانيهما يمثل «الشريحة الثورية» التي تخشى ما يسمونه «عودة نظام مبارك» برجاله ورموزه وسياساته وكل ما يمثله حتى من شخوص المؤسسة الأمنية، فيما يقولون؛ وهي عودة ممزوجة – في رأيهم – بسطوة مستجدة للعسكريين في أجهزة ما يعتبرونها «الدولة العميقة». وما بين طبقات الشعور واللاشعور السياسي، وامتزاج الوعي و«عدم الوعي» – إذا صح هذا التعبير – تظل تلك المعادلة الرئيسية سارية المفعول، تُلقي بظلالها على المشهد السياسي المصرى إلى حين.

هذا وإن «القوى السياسية المدنية» – في الشقّ الفعال منها وذي الجذور الضاربة نسبياً في التربة الوطنية المصرية خلال العقدين الأخيرين - مثل أحزاب «التجمع» (الذي خرج من رحمه «حزب التحالف الشعبي الاشتراكي») و«الوفد» و«الحزب الناصري»، وكذا بعض الفصائل المنبثقة حديثاً من تلك القديمة، تعيش فى أجواء العمل الوطني المعارض لنظام مبارك، في ظل «حركة كفاية» وأضرابها ثم حركة 6 أبريل وأمثالها، خاصة في فترة 2010/2005. في تلك الفترة ذات النفس الثوري الحميم في خضم المعارضة الفاعلة، عاشت القوى السياسية أقوى وأبهى أيامها وهيأت الأجواء جميعاً للحدث العظيم و«الانفجار العظيم» في 25 يناير 2011.

أما شباب وعناصر ثورة يناير الذين فجروا الحدث وعاشوا أيامه المجيدة، ثم تسربت أيامه من بين أيديهم لتتلقفها جماعة «الإخوان المسلمين»، فقد دخلت جبّ الغموض والتشرذم بعد الثلاثين من يونيو 2013، ولا تزال تعيش ذكرى تلك الأيام المجيدة من 25 يناير إلى 11 فبراير 2011، وتجتزها اجتراراً وتتمنى من كل قلبها لو تعود!

وفي الحالين، إن القوى السياسية «القديمة» وعناصر الثورة «الجديدة» كلّ منها تعيش في خيامها الخاصة، بعيداً عن الواقع الجديد الذي يجري صنعه الآن، اقتصادياً وسياسياً. في المجال الاقتصادي تتحول مصر رويداً إلى «ورشة» كبيرة تستصلح الأراض الصحراوية، وتتطلع إلى بناء نموذج لريف جديد، وتحفر فروعاً لقناة السويس وتعمّر من حول شاطئيها شرقاً وغرباً، وتقيم محطات الطاقة والطاقة النووية، وتعمل على إعادة رسم خرائط البنى الهيكلية على امتداد البلاد طولاً وعرضاً. وهكذا تعيش القوى السياسية والثورية في عزلة عما حولها، تخوض المعارك وتعطي «الوضع الحاكم» سلاحاً بتّاراً يستخدمه لتجسيم أخطائها الجسام، ومحاولة إظهارها في مظهر العجز أمام أعين الجماهير، ويستر بها أخطاءه الكثيرة في ميادين عديدة.

الوضع الحاكم يتجاوز عزلته حين انفّض من حوله سريعاً ما كان يسمى «تحالف الثلاثين من يونيو»، وبعد أن دخل في معركة ضد العنف الدموي والمسلح بقيادة بعض فصائل تيار الإسلام السياسي، وفي مقدمتها فصيل العنف من جماعة «الإخوان المسلمين».

يحاول الوضع الحاكم أن يستكمل أركانه الدستورية بأضلاعه الثلاثة، ويمضي في عمل شاق لتجاوز مصاعب الأزمة الاقتصادية المستحكمة، بينما تمضي القوى السياسية في عزلتها المقيمة لا تلوى على شيء... فإلى أين المسير والمصير؟

فأما المسير فإنه يتحصل في مسارين متوازيين لا يلتقيان فيما يبدو: أولهما مسار الوضع الحاكم، الآخذ في التحول إلى «نظام حاكم» عبر زمن قصير نسبياً، ومن حوله ظهير رضي بأن يكون ظهيراً، بعد أن استكنف جميع الباقين. وهذا الظهير في شريحة كبيرة منه يرنو ببصره العليل إلى ما قبل 25 يناير 2011، بصورة أو أخرى، في ما يمكن أن يسمى «الاتجاه الفلولي»

القوى السياسية «القديمة» وعناصر الثورة «الجديدة» كلّ منها تعيش في خيامها الخاصة (أ ف ب)

حلب: ترانيمُ الصمود والوجع والانتظار

عبدالمعين زريق *

إنها حلب... تغيرت كثيراً بناسها وشوارعها وأرصفتها والباعة المتجولين فيها. ازداد الزحام فيها، وضاقت بشوارعها وأبنيتها وأزقتها. لا تترك شوارعها المكتظة في نصف المدينة المتبقية تحت سلطة الدولة مساحة كافية لعاشقيها لكي يتأملوها بشكل جيد. فرض ذلك كثرة النازحين إلى الأحياء والمباني والمدارس والمؤسسات الحكومية الذين قدموا إليها من بعض أحيائها المشتعلة في النصف الآخر ومن القرى والبلدات والمحافظات المجاورة، فبدت حركة الحياة فيها مكثفة ومضغوطة ومغلّفة بالخوف والقلق العارم في نصف مدينة يضجُّ بالحركة الحثيثة والازدحام الشديد ينتظر عودة نصفه الآخر.

يبدو وكأنه شيء لا يصدق من العبث والخيال الأسود قد هبط بأستاره، فأطبق على البلاد بطولها وعرضها. وبات اللامنطق فيها معقولاً تفرضه عقول الجهالة والانتقام بالأهواء الشيطانية كعقاب للمدينة على مواقفها التي تشككت بما دعي «الثورة السورية» منذ بدئها في آذار 2011.

تركّزَ الخوف والقلق في ملامح الناس وتعابيرهم. غابت عن الوجوه والابتسامات العريضة، فلطالما عرف عن حلب أنها من أكثر المدن فرحاً وسعادةً وأن أهلها تملؤهم رغبة الحياة، فتتفجر في جوارحهم حركةً لا تهدئ لإعمار الكون وصبغه بالجمال والسعادة والسرور.

صادق الحلبيون - خلال سنوات الحرب على سورية -الظروف القاسية وتسابقوا والردى إلى أماكن عملهم. هنا يصبح الموت زائراً يومياً يصادفهم في أي مكان، حتى داخل بيوتهم. أما عند المعابر الخطرة والمتاريس المتلاصقة فيصبح الموت فيها بكرةَ مسدسٍ أميركي قديم يحمله راعي بقر عديمِ الرحمةِ قاسي القلب غليظ الطباع... بكرةً سهلةُ الدوران، شُحِّمتْ بدماء الناس البسطاء ونقي عظامهم. كانت إذا أخطأت رؤوس الناس وقلوبهم طحنت عظام مرافقهم وركبهم لتتركَ الناجي من الموت بقايا إنسان، يشتكي الإعاقات طوال عمره... تدور البكرة على حيوات العابرين البسطاء وأحلامهم الصغيرة بشكل يومي، وعندما تتوقف لتصادفَ الطلقةُ بيتَ النار تنطلقْ رصاصةٌ من مكان مجهول خلف حائط مثقوب يتسع لبندقية... عندها تمحي في الأجواء زفراتُ عابرٍ لاهث، مستسلم الإرادة، خفيف الجثة، وتئد أحلامَه الصغيرة أحلاماً تسقط من قوافل العابرين. أحلام ممزوجة بدماء زكية وبما أمسكته أيديهم المقدسة من بضائع معيشة ولوازم طعام، أو مما يحمله الجسد المنتفض فوق بركة دمه، يتنشق آخر جرعة بقيت له من هواء، تتكسر عندها ارتال العابرين وصفوفهم وتندفع الحشود على غير هدى في كل الاتجاهات، وتطيش أقدامهم وتتخبط أجسادهم ويتساقطون على الأرض. كلّ واحد منهم يخشى الطلقة القادمة التي تئزُّ مع الريح تاركةً خيطاً من الوهم الرهيب يخترق آذان الجميع.

لعبة قذرة. لعبة موت مجاني... لعبة «أولاد حرام» لا تتوقف إلا لوقت كافٍ لمعرفة ما حدث ومن سقط وكم عددهم. لعبةٌ لم يعرفها السوريون قبلاً، لعبةٌ مستوردةٌ.

ساديٌ يغتسل كلَّ يومٍ بأكواب الدم السوري الزكي ويقتات أرطالَ اللحم الطاهر. يقف متلذذاً منتشياً بحصيلة يومه من فوارغ رصاصات، هي أعداد قتلاه ومصابيه المساكين الذين يثيرون الشفقة. يرضون أن يمروا تحت قوانينه العبثية ورصاصاته الغبية. يبحثون عن حظ جميل بمرورهم أحياءَ جانب الموت المحتم مُحمّلين بأشياء صغيرة مع أرواحهم. الحقيقة لا يمكن لعاقل يعيش في حلب ويعرفها تماماً أن يجد أجوبة مقنعةً لأسئلة متولدة عن سؤال مُحيّر ينشطر كمتتالية هندسية لا تتوقف.

سؤال يبدأ بكيف، ثم لا يلبث أن ينفجر بعشرات الأسئلة المتشظية من جسده المتسرطن. خلية واحدة متسائلة تنفلت عن عِقالها فتولد آلافَ الخلايا المتسائلة الخارجة ضد كل نسق منطقي... يبدأ السؤال بـ: - كيف تقلصت تلك الحدود الطويلة بين أحياء حلب الكثيرة لتضيق وتستدق، فتبلغ معبراً واحداً إلى الطرف الآخر عرضه لا يتجاوز الخمسين متراً؟! وكأن جدراناً عالية من نار فصلت طرفي المدينة، رسمها تنين أسطوري لا يرعوي... انفلت عن سيطرة آلهة خارجة من كتاب التعاويذ الشيطانية. - أين ذهبت الشوارع بين الأحياء وأين سُرقت الأزقة وأين غاب الناس؟ - أين ذهبت عشرات الآلاف من الأمتار بين الأحياء المنقسمة بين طرفي المدينة هذه الأيام؟ - وكيف أصبحت المدينة شرقية وغربية وكيف تحولت الحدود بينهما إلى حدود محفوفة بالقتل والموت العبثي؟! - كم من المسلحين والجنود والمدنيين الأبرياء سيسقطون على هذه الحدود المحروسة بالنيران؟

انقسمت المدينة على هذه الشاكلة على ذات الأرض وذات المواصفات التي ميزتها تاريخياً. مدينة واحدة ذات بنية واحدة، لا يمكن تصور تجزئتها بحدود الحقد والكره والنزاع على السلطة ولو في أسوأ كوابيس الحلبيين.

تحولت عشرات الكيلومترات من شوارع المدينة وأزقتها بين الحارات الحلبية في أقل من بضعة أشهر من الصراع المسلح إلى خطوط تماس واشتباك وقتال عنيف خلف المتاريس المنصوبة. لم يترك المتحاربون متسعاً للمرور الخطر بين الشطرين إلا بقدر خمسين متراً للعبور، وحرسوه بالموت المفاجئ والرصاص العشوائي وسموه «معبر الموت» قبل أن يغلق تماماً، فصار الانتقال بينهما يحتاج لرحلة تستغرق